

(١)

حروب فردريك الثاني ضد الإيبليين

في

سورية و قبرص

تأليف

فيليب دي نوفار

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

أوجد انتصار حطين و ما أعقبه من تحرير للقدس و لعدد كبير من المدن و الحصون واقعاً جديداً، كاد أن يصبح صاحب تأثيرات شاملة دائمة، لكن اخفاق صلاح الدين في تحرير صور، و سياسته تجاه أعيان أسرى حطين و كذلك الأفراد شكلت بداية تراجع، إن لم أقل انتكاسة، ووضح هذا أثناء وقائع الحملة الثالثة، حيث فرضت واقعاً جديداً، تمثل بشكل رئيسي بإزاحة بيزنطة من على مسرح الأحداث، و بتأسيس حكم لاتيني في قبرص، و بإعادة تأسيس مملكة القدس في عكا، و كان بالين دي ايبلين من أبرز شخصيات الفرنجة التي تعاملت مع صلاح الدين أثناء استسلام القدس له، لابل بعد ذلك ايضاً، و نظراً للفراغ الكبير الذي تكون في اوساط الفرنجة البلديين — البوليان — تقدمت أسرة بالين إلى الصدارة، و تابعت تقدمها لاسيما بعد وفاة صلاح الدين.

فبعد وفاة صلاح الدين انشغل رجالات الأسرة الأيوبية بالحروب الأهلية الداخلية، و هكذا فرطوا رويداً رويداً بجمل مكاسب صلاح الدين بعد حطين، و استرد الفرنجة عدداً من مدن الساحل الشامي حرباً، أو تخاذلاً أو خيانة، و كان من بين ما استردوه مدينة بيروت، التي فرط بها واليها عزالدين سامة، و كان بالأصل من ممالك صلاح الدين، و عبر أحد الشعراء عن مشاعر الناس آنذاك تجاه ما كان يحدث فقال مخاطباً صاحب حصن تبين عندما حاصره الفرنجة سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨ م، و قاومهم :

لايلام الذي يروم السلامة

سلم الحصن ماعليك ملامة

سنة سنها ببيروت سامة

عطاء الحصون من غير حرب

وآلت بيروت بعد ضياعها بوقت قصير إلى حكم الأسرة الإيلينية، و استطاعت هذه الأسرة بحكمها لبيروت أن تجمع ثروة كبيرة و بالتالي أن تشغل دوراً عظيماً في تاريخ الفرنجة في كل من مملكة عكا و مملكة قبرص، و ظهر هذا الدور أثناء الحملة الصليبية الخامسة، لكنه اتضح تماماً أثناء الحملة الصليبية السادسة، ففي هذه الحملة لم تقم معارك بين السلطان الكامل محمد بن العادل و بين الامبراطور فردريك الثاني، فقد تسلم هذا الامبراطور القدس من الكامل عن طريق المفاوضات، و لأن الكامل استولت عليه الرغبة بالفرغ لقتال أخوانه في الشام و أفراد بيته و الصراعات التي تمت أثناء وجود فردريك الثاني في المشرق كانت بينه و بين الإيلينين، و هكذا استمرت و تحولت إلى حروب فرنجية داخلية بعد عودته إلى إيطاليا .

و غاب الأيوبيون عن استغلال هذه الصراعات و الحروب لأنهم انشغلوا هم أيضاً بشؤونهم الداخلية، و هذه صورة مفاجئة دوّن أخبارها بالتفصيل من الجانب الفرنجي فيليب دي نوفار، الذي نقدم تاريخه الآن، و ما دونه فيليب هو الأهم، وهو الذي يؤخذ عليه ليس انحيازه للبيت الإيليني فحسب، بل الشعر الغث الذي نظمه و أودعه في ثنايا صفحات كتابه، لكن مع ذلك هذا الكتاب بشعره وثيقة ثمينة تصور واقع الفرنجة في المشرق في النصف الأول من القرن الثالث عشر، و نفيدنا أن كل من الحملة الخامسة و السادسة كان الألمان هم الذين أسهموا فيها أكثر من سواهم، لكن بالوقت نفسه كان دور البابوية معادلاً، إن لم نقل متفوقاً على الدور الألماني، و كان للصراع بين البابوية و الامبراطورية أبعاد الآثار على مصير الحملتين.

و فيما الصراعات الداخلية في الشام شاغلة للقوى كلها، كان المغول قد أسسوا امبراطوريتهم المترامية الأطراف، و استولوا على واحة خوارزم، و أزالوا أسرتها الحاكمة، و دفعوا بجلال الدين منكبرتي سلطان خوارزم

مع فلول جيوشه نحو الجزيرة الفراتية و أعالي بلاد الشام .
و تورط الخوارزمية بالصراعات الأيوبية، الأيوبية، و ساعدوا الصالح
أيوب على استرداد القدس من الصليبيين، و من ثم الوصول إلى عرش
السلطنة في القاهرة، مما أثار ما يعرف بالحملة الصليبية السابعة، و
تزامنت أحداث هذه الحملة مع تدمير قوى الخوارزمية، و بالتالي انفساح
المجال للمغول للتقدم من العراق نحو الجزيرة و بلاد الشام، و لقد ورد
بعض أخبار هذا في بعض المصادر العربية المتقدمة و سنرى المزيد حوله
في غير العربية حول الحملة السابعة و ماتلاها مع عدد من النصوص
الجغرافية الهامة.

من الله أستمد العون، و أستلهم الرشاد، و أطلب التوفيق، و له جل
و علا الحمد الدائم و الشكر، و الصلاة و السلام على نبينا المصطفى و
على آله و صحبه و سلم.

سهيل زكار

دمشق ١٩ — شعبان ١٤١٩ / ٨ — كانون الأول ١٩٩٨

مدخل

١- إن أخبار أعمال الحرب « Gestes des chiprois » و حوليات أمادي هما أساس نص هذا التاريخ

لا يوجد - بقدر ما نعلم - في هذه الأيام مخطوط يحتوي على النص الأصيل لتاريخ فيليب دي نوفار ، و النص الذي نقدمه اليوم قام بالأساس على ما صنفه بحرص شديد ، و أعدّه شارل كوهلر من خلال مصدرين رئيسيين كان كتاب فيليب قد دمج فيهما، و هما « أخبار أعمال الحرب » و « حوليات أمادي »، و جاء عمل كوهلر عملاً علمياً دقيقاً جداً، و لاشك أن النص المصنف ، هو أقرب ما يمكن إلى نص فيليب الأصلي، و سيظل كذلك حتى يجري اكتشاف مخطوط المؤلف نفسه .

و كان كتاب «أخبار أعمال الحرب » ، والذي هو المصدر الرئيس لتاريخ فيليب ، هو حولية كتبت بالفرنسية القديمة ، في قبرص في القرن الرابع عشر ، و هو متوفر في مخطوط واحد تاريخه ١٣٤٣ ، و قد نسخ في سيرينا Cerines من قبل جون لي ميج Miege ، و كان سجيناً لدى عموري دي ميمار Mimars ، قسطلان قلعة سيرينا ، القلعة التي استخدمت آنذاك - كما الحال اليوم - سجنًا حكومياً ، و تم اكتشاف هذا المخطوط في سنة ١٨٨٢ من قبل م . كارلو بيرين Perrin في بيدمونت ، و ما برح في الملك الخاص لأسرته ، و قد اتخذت عنه نسخة تحت إشراف م . بيرين و أرسلت الى الكونت بول رينت Riant ، الذي كان مؤرخاً واسع الشهرة في ميدان تاريخ اللاتين في الشرق ، و قد أودع هذه النسخة في المكتبة الوطنية حيث تحمل الرقم «٦٦٨٠ - مخطوطات فرنسية حديثة التملك »، و اعتماداً على هذه النسخة أعد غاستون رينود Raynaud طبعته المحققة التي نشرها في عام ١٨٨٧ تحت رعاية

جمعية الشرق اللاتيني، و قد تولى م . بيرين تصحيح تجارب هذه الطبعة اعتماداً على النسخة الأصيلة التي بحوزته، و جرى فيما بعد إعداد طبعة ثانية للنص اعتماداً على نسخة رينيت من قبل الكونت لويس دي ماس لاتري ، بغية إلحاق هذا النص بنصوص مجموع روشيل : «تواريخ الحروب الصليبية » المنشور من قبل «أكاديمية النقوش و الآداب الجميلة »، و ظهرت هذه الطبعة عام ١٩٠٦ في المجلد الثاني من «الوثائق الأرمنية »، و بما أن الكونت دي ماس لاتري قد توفي قبل نشر هذا المجلد ، عهد بإكمال عمله إلى غاستون الباريسي، ثم عهد به فيما بعد إلى شارل كوهلر، و قد حمل النص المنشور مقدمة كتبها كوهلر، و عانت هذه الطبعة من الإقحامات الثقيلة، و لأن النص كان مبسطاً ، فقد أقحمت فيه كلمات كثيرة في أماكن عديدة بهدف توضيح معانيه، و قد أدى هذا الى تغيير النص بعض الشيء، كما جرى توحيد لفظ الكلمات، و مع أن الترجمة الحالية عادت مراراً إلى هذه الطبعة ،لقد اعتمد نص أخبار الأعمال - باستثناء نص فيليب الذي صنعه كوهلر فيما بعد - على طبعة رينود .

وكتاب « أخبار أعمال الحرب » هو تاريخ لمملكة قبرص من الأزمان المبكرة حتى سنة ١٣٠٩، و قد جرى تصنيفه في حوالي سنة ١٣٢٥ ، من قبل مصنف غير معروف تمّ التعرف عليه على أنه جيرارد دي مونتريال ، وجرى تقسيم هذا المصنف إلى ثلاثة كتب هي : «تاريخ الأرض المقدسة » و « تاريخ فيليب دي نوفار » و« تاريخ داوية صور » ، وذلك مجازة لرينود فهو الذي أطلق هذه الأسماء عليهم ، و «تاريخ الأرض المقدسة»، هو سلسلة من الحوليات ،التي تقصت تاريخ العالم من الخليقة حتى سنة ١٢١٨، و قد فقدت الأوراق الأولى من المخطوط،وعلى هذا تبدأ الحوليات فعلياً بسنة ١١٣٢، ولقد ورد في الفقرة ٨١ أنه جرى في الفقرات المتقدمة عرض تاريخ العالم من آدم

حتى فردريك الثاني ، مما يعني أن الأجزاء المتقدمة كانت تحتوي على عرض مختصر لتاريخ العالم ، أما بالنسبة لقسم ١١٣٢ حتى سنة ١٢١٨ ، فهو كله مجرد حوليات مختصرة ، مع تفاصيل أطول أحياناً لبعض الأحداث المحلية الهامة ، و يتفق غاستون الباريسي و شارل كوهلر بالاعتقاد على أن الفقرات من ٨٢ حتى ٩١ قد أقيمت في تاريخ الأرض المقدسة بعدما انتزعت من السيرة الذاتية المفقودة لفيليب دي نوفار ، ولسوف تتوفر هذه الفقرات في الملحق الأول في آخر هذا المجلد .

و الكتاب الثاني من تاريخ «أخبار الأعمال» هو بشكل أساسي تاريخ فيليب دي نوفار ، و قد شكل هذا القاعدة بالنسبة لنص كوهلر ، و كان مصنف «أخبار الأعمال» قد ضمنه فقرات من مصادر أخرى ، و لاسيما من تاريخ هرقل (أي تكملة تاريخ وليم الصوري) و من كتاب « حوليات الأرض المقدسة » ، و قام كوهلر بمقارنة دقيقة بين نصوص «الأعمال» و «هرقل» و «الحوليات» و أخرج أثناء إعادة بنائه للنص الأصلي لفيليب جميع ما أقيمت به وضمنه .

و الكتاب الثالث في «الأعمال» أي «تاريخ داوية صور» هو تكملة لتاريخ قبرص و سورية من ١٢٤٣ حتى ١٣٠٩ ، و الصفحات الأخيرة من المخطوط هي مفقودة أيضاً ، و من الممكن الافتراض أن الكتاب بصيغته الأصلية لم يتجاوز بالتاريخ أبعد من عام ١٣٢٤ ، وهي سنة وفاة هنري الثاني ، فمع هذه السنة أنهى فلوريو بوسترون Florio Bustron - الذي استخدم «الأعمال» مصدراً له - الجزء الثاني من تاريخه ، و هذا بلا شك أفضل مصدر عن هذه الحقبة من تاريخ اللاتين في الشرق ، و صحيح أنه أدنى مكانة من كتاب فيليب دي نوفار إلا أنه يمتلك بالفعل مكانة معيارية تظهر أن المصنف كان جيد المعلومات و قد تملك فهماً و تقديراً تاريخياً له قيمته .

و الكتاب الهام الثاني المبني إلى أبعد الحدود على تاريخ فيليب هو «

حوليات فرانسيسكو أمادي « وهذا الكتاب تاريخ بنديقي لقبرص ، منذ أيام الخليفة عمر حتى اعتلاء الملك جون الثاني للعرش في قبرص سنة ١٤٣٢ ، وقد كتب قبل سنة ١٤٨٩ ، ويستدل من محتوياته أنه كان ملكاً لعالم بنديقي و لغوي هو فرانسيسكو أمادي ، الذي ربما كان - أو ربما لم يكن - هو المصنف ، مع أنه يعزى إليه بشكل عام ، ويلاحظ أنه بالنسبة لحوادث السنوات من ١٢١٨ حتى ١٢٤٣ ، في هذا الكتاب أنها ترجمة حرة لكتاب تاريخ فيليب إلى لغة البندقية ، مع بعض أعمال الاختصار والضبط و التحسين في أجزاء مختلفة ، وعلى افتراض أن أمادي هو الذي كتب الحوليات ، من الواضح أنه كان أمامه النسخة الأصلية من «تاريخ فيليب» أو نسخة من «الأعمال» ليس فيها النقول من «هرقل» ، ويلاحظ أنه في كل مرة نسخ فيها كتاب الأعمال عن «هرقل» ، إمتلك أمادي قراءة مختلفة ، ففي الوقت الذي لا يوجد فيه أي من شعر «الأعمال» لدى أمادي ، نجد في حوليات البنديقي دوييت ليس في محتويات «الأعمال» ، وهي تتحدث عن الأحوال المتأخرة لـ «فيلنغرز Fi-langers» ، وقد أقحمت في وسط الرواية ، وفي الوقت الذي لم يكن فيه كوهلر شاعراً بالثقة تماماً بأن هذه الفقرة هي خاتمة فيليب حتى ينشرها في مكانها المفترض ، وارتضى بأن يضعها في الحاشية ، أخذت زمام المبادرة وأعطيت نفسي الحرية في إعادتها إلى خاتمة التاريخ ، ولقد استخدم كوهلر أمادي لضبط نص «الأعمال» ، وفي كل مناسبة رددت «الأعمال» كلمات هرقل حرفياً ، اعتمد كوهلر على نص أمادي في بنائه لنص فيليب الافتراضي ، واعتمدت هذه الترجمة على نص كوهلر ، بدون أدنى ملاحظات ، إلا عندما اقتضى الحال إضافة بعض المعلومات الجديرة بالاضافة ، فضلاً عن هذا توليت جمع جميع الفقرات المنقولة عن هرقل وهي التي أخرجها كوهلر من نص «الأعمال» ، وأثبتها في الملحق الثاني لهذا المجلد .

وبالإضافة لكتاب «الأعمال» وأمادي، هناك عدة كتب أخرى استقت بعض معلوماتها من تاريخ فيليب، وقد استخدمها كوهلر كلها، من ذلك «حوليات أخبار قبرص» تصنيف فلوريوبوسترون Florio Bustron وهو قبرصي صار ايطالياً، وجد في القرن السادس عشر، وقد أسس هذا الكتاب إما مباشرة على تاريخ فيليب أو على «الأعمال»، وقد استقى ماريو سانوتو في كتابه «كتاب الأسرار» المكتوب سنة ١٣٠٧ - ١٣٢١، بعض المعلومات من فيليب، لكنها معلومات ضئيلة، وإطار معالجتها ضيق، ولها قيمة قليلة، ولادور لها في عملية بناء النص .

ولقد جرى اعتماد تاريخ فيليب دي نوفار من قبل كل كاتب عالج تاريخ قبرص خلال القرن الثالث عشر، وجاء هذا الاعتماد إما من خلال «الأعمال» وأمادي وبوسترون أو من خلال سانوتو، فلقد اعتمد على واحد من هذه التواريخ كل من: لوردانو Lordano ، وجوانا Ju- ana ، ورينهارد Reinhard ، وماس لاتري، ولوهر Loh- er ، ومولر Muller ، وروهرخت Rohricht ، ولقد استخدم مولر وروهرخت جميع هذه التواريخ، و فقط ايتين Etienne دي لوزغان، الذي كتب في القرن السادس عشر، يبدو أنه لم يعرف فيليب، ومن الظاهر أنه استقى معلوماته واعتمد في تحصيلها على ميراث أسرته مع معلوماته الشخصية، ومن بين الكتاب الذين كتبوا حول فيليب الثاني نجد أن كل من وينكلمان Winkelmann وكانتوروز Kantorowicz قد استخدموا الأعمال، واعتمد كل من كينغتون Kington وهو لارد - بريهولز Huillard-Breholles على هرقل، وعرفا فيليب من خلال سانوتو فقط .

وعلى هذا من الممكن أن يعد تاريخ فيليب المصدر الأول للحقبة الأعظم أهمية وخطورة في تاريخ قبرص، وكذلك بالنسبة لميدان أعمال فردريك الثاني الذي لانعرف عنه سوى القليل، ويقدم هذا التاريخ قصة

حرب رواها فارس شارك بها، وهي حرب لم تكن من النوع الذي هزّ أركان العالم، بل كانت من الحروب الإقطاعية العادية، وتزداد أهمية لأن فردريك الثاني كان من بين الشخصيات التي تورطت بها، وهذا ولا يوجد سوى القليل من المصادر التي تعطي صورة أوضح عن الحضارة المتميزة للدويلات الصليبية و توابعها الإقطاعية، مما أعطاه فيليب في تاريخه، ففي هذا التاريخ صور الإجراءات القانونية، والسياسات المتقلبة، والفردية المتصلبة، ولقد أعطتنا الدويلات الصليبية اللاتينية فرصة لدراسات ممتعة للإقطاع تحت ضوء المجهر، وصحيح أن الصور صغيرة، ولكنها كاملة، ذلك أنه من غير الممكن أن يحصل الإنسان على صورة دولة إقطاعية خالصة أفضل مما توفره دولة القدس اللاتينية، ثم أنه لا يمكن للإنسان أن يرى القدس أفضل من رؤيتها من خلال تاريخ فيليب دي نوفار .

٢- فيليب دي نوفار :الرجل والمصنف

بالنسبة للإيطالي من القرن السادس عشر، كان المثل الأعلى لرجل النهضة هو «الرجل العالمي» الذي جمع في شخص واحد سمات العالم، والمحارب، والسياسي، والخطيب، والرياضي، والفنان، والأديب، ولقد عدّ كل من لورانزو الفاخرو، وألبيرتي، وليوناردو، أفضل النماذج لهذا الإنسان المثالي، فهكذا نظر إليهم من قبل أهل عصرهم والذين جاءوا من بعدهم، وقام جميع الأقل منزلة بشرية بإدعاء الإنتماء إليهم وإلى الحضارة التي أنتجتهم، ونادراً ما عزيت أية إشارة تمجيد إلى الأيام الأبر، وإلى الثقافة التي تقدم وجودها على عصرهم مباشرة، أي عصر التنوير، والمعني بهذا العصر الأبر الذي أطلق عليه الإنسانيون ظلماً اسم العصر «القوطي» ومع هذا هناك كاتب من كتاب القرن السادس عشر، كان من بين نماذج الإنسانيين، هو فلوريو بوستورن، وهو إيطالي قبرصي، كتب تاريخاً عن بلاده، وقد استخدم اصطلاح «الرجل العالمي» وأطلقه إطرأً

على فيليب دي نوفار، الذي كتب في قبرص في القرن الثالث عشر، ولاشك أن هناك عنصراً من التفاخر الفروسي لدى صاحبنا القبرصي في ما وسم به نوفار، مع شيء من المغالاة الأمر الذي غالباً ما أخذ به أنسابو النهضة، لكن مع هذا أن يقوم عالم من عصر النهضة باطلاق هذه السمة على كاتب من القرن الثالث عشر، هي حقيقة جديدة بالملاحظة، ويزيد من أهميتها أن فيليب دي نوفار كان بكل وضوح خصماً للرجل الذي كان حقاً هو «الرجل العالمي» للقرن الثالث عشر، أي الامبراطور فردريك الثاني «Stupos Mundi» .

وفياً يتعلق بفيليب دي نوفار، القليل من المعلومات هو المتوفر عنه، وذلك باستثناء ما حدثنا به شخصياً عن نفسه، وظل لمدة طويلة معروفاً على أنه فقط كاتب إحدى الرسائل القانونية، التي كونت «أطروحة القدس»، و فقط احتل في منتصف القرن الماضي مكانة كمؤرخ وشاعر من خلال إكتشاف ثم نشر تاريخه وكتابه «Quatre Ages de homme» .

وكان فيليب قد ولد في حوالي أواخر القرن الثاني عشر، ولعل ذلك كان حوالي سنة ١١٩٥، في مدينة نوفار في لومباردي، ومضى إلى الشرق في سن مبكرة، وكان ذلك سنة ١٢١٨، وكان غلاماً في خدمة بيتر شابي، الذي كان فارساً قبرصياً، ولقد كان بين حاشيته أثناء حصار دمياط، وفي أثناء وجود الفرنجة في دمياط انتقل من خدمة شابي إلى خدمة رالف صاحب طبرية، الذي كان قانونياً شهيراً، ومنه تعلم علم القانون، الاختصاص الذي نال منه فيما بعده وبسببه شهرته، وبهذا الصدد قال فيليب نفسه:

«وحدث أنني كنت لدى الحصار الأول لدمياط مع السير بيتر شابي، وقد تناول السير رالف صاحب طبرية الغداء معه، وبعد الفراغ من الطعام جعلني السير بيتر أقرأ لهما من الرومانسي، وقال السير رالف

بأنني أقرأ بشكل جيد، ومرض السير رالف فيما بعد، فقام السير بيتر بناء على طلب السير رالف، بإرسالي إليه لأقرأ له، وهكذا أمضيت هناك ثلاثة أشهر أو أكثر، وكنت منزعجاً جداً، بالذي توجب عليّ أن أسرّبه كثيراً، ونام السير رالف قليلاً وبشكل سيء، وعندما كنت أقرأ عليه بقدر ما أحب، أخبرني بأشياء كثيرة تتعلق بمملكة القدس، وبالاستخدامات وبالأحجام، وقال: ينبغي أن أتذكر كل هذه الأشياء، وتقبلت أنا، الذي خفت كثيراً من طباعه، كل شيء، وكنت بعد هذا بصحبة مولاي الأسن في بيروت حتى موته، ولقد أخبرني بأشياء كثيرة بكياسته وذلك بناء على طلبي، لأنه لم يقدم قط على الكلام طواعية مثلما فعل السير رالف، وتعرفت بعد هذا معرفة جيدة على مولاي صاحب صيدا، وكان ذلك في بيروت، وفي عكا، وفي قبرص، وأخبرني بأشياء كثيرة عن طواعية بلطفه المعتاد، وبعد هؤلاء الرجال العظماء والحكماء، أمضيت وقتاً طويلاً في المحكمة مع السير وليم فيزكونت والسير أرنيس Arneis والسير وليم دي رايفت Rivet الأصغر، الذي كان محامي استئناف عظيم، وتعرفت في مملكة القدس بشكل جيد على السير نيقولا أنتيوم Anti-aume، والسير فيليب بيسديون Baisdion، الذي كان محامي استئناف عظيم في داخل المحكمة وخارجها».

وانتقل فيليب من خدمة رالف صاحب طبرية إلى خدمة جون أوف إيبيلين صاحب بيروت، واستقر في قبرص حيث تزوج، ولا بد أن الزواج قد قام قبل عام ١٢٢٦، ذلك أن بالين ابن فيليب كان قد جعل فارساً في سنة ١٢٤٣، وكان بالين دي ايبيلين عرابه، هذا وكان فيليب هو الأول من أسرته الذي استقر في الشرق، وما لبث فيليب أن حصل على مركز له مكانة هامة، حيث أصبح واحداً من أهم مستشاري جون دي إيبيلين وابنه بالين، ومن أتباعها الاقطاعيين، ذلك أن فيليب استحوز على اقطاع منهما.

والسنوات ما بين ١٢٢٩ إلى ١٢٥٣ هم الأكثر أهمية في حياة فيليب وبالنسبة للجزء الأعظم من هذه الحقبة يزودنا تاريخه برواية كاملة، وكان أول بروز له في سنة ١٢٢٩، عندما حاول وكلاء الامبراطور الخمسة في قبرص اغتياله لأنه رفض قبول حكمهم وتمنع عن أداء القسم ليعترف بوكالتهم، وكان في هذه الأونة متمكناً لقطاعية، وكان قد نال سمعة جيدة في محكمة قبرص، حيث ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالاييلينيين، وكان عندما نجا من وكلاء الامبراطور، التجأ إلى مشفى القديس يوحنا في نيقوسيا، حيث بعث من هناك إلى مولاه بالين دي إيبيلين يطلب مساعدته، وشارك فيليب في معركة نيقوسيا، التي قاتل فيها الإيبيلينيون في سبيل انقاذه وانقاذ السيدات النبيلات اللاتي حوصرن معه، وقاد مجموعة من الجنود ضد وكلاء الامبراطور، وأسهم في تحقيق النصر، (١٤ تموز ١٢٢٩)، كما وقدم فيليب مساعدته أيضاً أثناء حصار ديودامور Dieudamor وكتنارا Kantara، وقد جرح أثناء العمليات حول ديو دامور.

وعندما خطط القبارصة في سنة ١٢٣٢ لرفع دعوى لدى البلاطات الغربية ضد الامبراطور، كان فيليب هو الذي سيحمل دعواهم، وقد منع من الذهاب فقط بسبب استسلام الحامية الامبراطورية، وهي حادثة جعلت الدعوى غير ضرورية، وكان فيليب حاضراً مع جون دي إيبيلين لدى التفريج عن بيروت في سنة ١٢٣٢، وذهب مع بالين دي إيبيلين إلى طرابلس في سفارة لدى بوهيموند لجذب ذلك الأمير للدخول في الحلف القبرصي، والتحق فيليب بعد هذا بالكتلة الأساسية للقوات القبرصية وذلك بعد معركة قلعة إيمبرت Imbert ، ثم ذهب مع هذه القوات إلى قبرص حيث شارك في مباحثات استسلام قلعة فيما غوستا وقلعة كتنارا، وقد شارك في معركة أغريدي Agridi، وكان واحداً من خمسة رافقوا بالين دي إيبيلين في هجومه الخطير على طرف الرابية.

وبعد معركة نيقوسيا وفي أثناء حصار سيرينا منح فيليب حكم نيقوسيا وعهد إليه بالاشراف على الأسرى الذين حجزوا هناك، وكان هو مع أرنيس Arneis صاحب جبلة قد أعدا شروط استسلام سيرينا في سنة ١٢٣٣، وأخبار السنوات الثلاثة التالية غير متوفرة في رواية فيليب، لكنه عاود الظهور في سنة ١٢٣٦ قرب فراش موت جون دي إيبيلين صاحب بيروت، وكان حاملاً للصليب أمام مولاة وهو يموت، وكانت قمة أعمال حياته عندما استطاع في عام ١٢٤٣ اقناع صاحبي بيروت وتبنين والمحكمة العليا للقدس لتأجيل هجومهم على صور حتى يصل الملك كونراد إلى السن القانوني، وإقامة أليس صاحبة قبرص حاکمة لمملكة القدس، وكوفء فيليب مكافأة جيدة من قبل الملكة الممتنة، التي سددت عنه جميع ديونه، التي وصلت إلى مبلغ ألف مارك من الفضة، ومنحته اقطاعاً يدر عليه مبلغ ألف قطعة ذهبية في العام من موارد عكا، وإثر هذا أسهم فيليب في حصار صور، وعمل بمثابة الحاكم الملكي في تجهيز الاسطول، وكان الوكيل الذي عهد إليه بالعمل على ابرام شروط استسلام قلعة صور.

وهذه الاشارات جميعاً مستخرجة من تاريخ فيليب، ويعتقد بعض النقاد أنه بالغ في إبراز أهمية دوره في هذه الحوادث، هذا ولا يوجد سبب للتشكيك في صحة هذه المعلومات، ذلك أن ما من واحد من المصادر الأخرى عزت أياً من الأعمال التي عزاها فيليب إلى نفسه إلى إنسان آخر، فمن المؤكد أن فيليب دي نوفار كان خلال حياة الملك هنري الأول، ملك قبرص واحداً من المستشارين الدائمين للملك، فقد ظهر اسمه على عدد كبير من الوثائق على أنه كان واحداً من أتباع هنري، وبعد وفاة الملك هنري في عام ١٢٥٣، كان فيليب مع غي دي إيبيلين وروبرت دي مونتغيو سكاردي Montgeuiscard بين الذين أشرفوا على تنفيذ وصية الملك المتوفى، وهذا واضح من خلال رسالة بابوية تاريخها عام

١٢٥٥، جاء فيها تهديد بالحرمان الكنسي للمشرفين على تنفيذ الوصية إذا لم يسددوا العشر المحدد للكنيسة بموجب شروط الوصية، وجاء آخر ظهور لفيليب في وثائق كان هو الشاهد بها على ثلاث منح إلى فرسان التيوتون، قدمها جون دي إيبيلين صاحب بيروت، وكان جون ابن مولى فيليب المتقدم ورفيقه، والمقصود هنا هو بالين دي إيبيلين، ووردت إشارة إليه في عام ١٢٦٤ في جدل قانوني أمام المحكمة العليا في عكا، على أنه « يعدّ أفضل محامي استئناف في هذا الجانب من البحر»، وبعيد هذا بأمد وجيز، لربما في عام ١٢٦٥، عندما صار في السبعين من عمره كتب الـ «*Quatre ages de L'homme*»، وبالنسبة لتاريخ وفاته هو أمر غير مقرر، حيث لم ترد إشارات إليه بعد عام ١٢٦٤، ولعله مات بعد هذا التاريخ، ففي سنة ١٢٦٩ ظهر ابنه بمثابة شاهد على وثيقة لهيوج الثالث، ولعله استحوذ في هذا التاريخ على اقطاعات والده التي نالها من التاج.

ورست شهرة فيليب دي نوفار بين معاصريه ورجال بلاده على براعته كمحامي استئناف في المحكمة، وعلى الترتيب الذي صنفه حول الإجراءات القانونية الـ «*Livre de forme de plait*» أو باسمه الآخر الذي عرف به وهو الـ «*Livre a un sien ami*»، وهو من أهم الأعمال التي شكلت «اطروحة القدس»، وفي الوقت الذي جاء فيه كتاب فيليب على أنه ليس دراسة في شؤون العدالة، ولا يرقى إلى المستوى العظيم لكتاب تلميذه جون دي إيبيلين صاحب يافا، الذي تم في سنة ١٣٦٩ تبني كتابه: «*Assies de La houte cour*» على انه القانون الأساسي لمملكة قبرص، مع هذا من الواضح أن كتاب فيليب كتاب عملي لعرض القوانين وللإجراءات التي اعتمدت في محاكم القدس وقبرص، ولا بد من أن تأثير نوفار على إيبيلين كان كبيراً، وفي الوقت الذي ليس من الواضح القدر الذي نهله إيبيلين من كتاب نوفار، ليس هناك

من شك أنه تعلم القانون منه، وبفضل تعليم فيليب له، امتلك إيبيلين حبه لعلم القانون، ويقف نوفار بمثابة حلقة وصل بين «قوانين الضريح المقدس» القديمة، التي عادت للملكة اللاتينية في القدس، التي لا بد أنه قد تعلمها من رالف صاحب طبرية، والقوانين القبرصية الجديدة التي وضعها إيبيلين، وتختلف قوانين إيبيلين في كثير من الحالات عن قوانين ماوراء البحار، وتظهر المقارنة فيما بين القوانين المبكرة المعروفة باسم «القوانين الملكية» وبين كتاب نوفار، وكذلك كتاب إيبيلين التطور الذي ألم بقانون القدس، وأن هذا التطور لم يلزم بمحتوى القانون فقط بل ألم بطرائق مقارنة القانون، وتعدّ «القوانين الملكية» أقدم مجموعة قانونية وصلتنا من قوانين ماوراء البحار، حيث يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثاني عشر، وهي تحتوي على مجرد بيانات قانونية فعلية، والذي تولاه نوفار هو تأكيد ما هو قانوني، كما عرض كيف ينبغي التماس ذلك، وكتب إيبيلين رسالة في علم القانون، وسعى جاهداً لتأكيد الأسباب والمبادئ الراسية خلف القوانين بطريقة جديدة بأحسن علوم العدالة والقضاء.

ويتألف كتاب نوفار من ثلاثة أقسام: في القسم الأول عرض لأحكام الإجراءات العامة التي استخدمت في محاكم ماوراء البحار، وفي القسم الثاني نقاش للأنماط الخاصة من أعمال العدالة، لاسيما التقديرات، والنقاط القانونية المتعلقة بكل قضية، وآراء كبار رجال العدالة حولها، أما في القسم الأخير فبحث في السمات والإحالات المطلوبة للمختص المحترف للقانون، والكتاب هو مرشد للمحامين ودليل من أجل الممارسة الفعلية للقانون، حيث يمكن لمحامى الاستئناف أن يتعلم طرائق تجنب الهفوات أمام المحكمة مع مذاهب الخداع المستخدمة، ولا يذكر نوفار آراءه الشخصية حول القوانين، ولا أفكاره حول الاجراءات، بل أقنع نفسه بنقل آراء الآخرين، ولم يقيم بأية محاولة لاستخراج أية جوانب

علمية من القوانين أو فلسفة تشريعية، فقد ترك هذا ليتولى صنعه تلميذه الأعظم كفاءة والأكثر شهرة، ولهذا فإن كتاب نوفار— بسبب طبيعته— لم يمتلك قط لا الاحترام نفسه ولامدى التأثير الذي امتلكه كتاب إيبيلين، زد على هذا إن ظهور كتاب إيبيلين بعد أمد وجيز من كتاب نوفار، حرم هذا الكتاب من المكانة التي كان ربما سيحظى بها ويتمتع بها، ومع أن الأجيال التالية لم تعط قيمة فعلية لكتابة: «*Livre de forme de plaut*» لقد استمرت سمعة فيليب دي نوفار حية على أنه كان واحداً من أعظم الشخصيات في تاريخ القانون الإقطاعي.

لكن نشاطات فيليب الأدبية لم تقتصر أبداً على ميادين القانون، ولم تنحصر بها مطلقاً، فقد أتيح لفيليب عندما بات في سن متقدمة أن يمتلك الفرصة ليقوم باطلالة على حياته الطويلة والمليئة بالأعمال، وليتذكر حماقات حياته، ولقد أسف لبعض الحماقات، ونتيجة لهذا كتب اطروحته الفلسفة والأخلاقية التي حملت عنوان:

« Les quatre Ages de L'homme » .

وقسم فيليب في هذا الكتاب حياة الانسان إلى أربع مراحل، في كل واحدة منها عشرين سنة، ومنح لكل حقبة سماتها، ففي الحقبة الأولى الطفولة ثم الشباب حيث ينبغي أن يتعلم الانسان من الأسن منه، والحقبة الثانية هي حقبة شباب، وهذه الحقبة بالنسبة لفيليب هي الأخطر لكل من الرجل والمرأة، فالشباب مندفع ونشيط، وسنين الشباب هي سنين الحب، والذنب، والحماقة، وأعمال العنف المتهورة والتمرد، ويعيش الانسان في المرحلة الثالثة في عمره الوسيط من الأربعين حتى الستين، وصور فيليب هذا العمر على أنه عمر الانجازات الحقيقية، فبعدهما تعلم الانسان أثناء طفولته، وتعب من حماقات واندفاع الشباب، أصبح جاهزاً لقطف الثمار حتى أقصى قدراته، وهو العصر الأعظم في حياة الانسان، وفيه يجد خيرة فضائله من: حكمة، وإخلاص، وسماحة، وأشياء أخرى،

أما بالنسبة للمرأة فالأمر على عكس الرجل، فالعصر الوسيط يمكن أن يكون أكثر حماقة من عصر الشباب، لأن عدداً كبيراً من النساء يسعين في سنوات نضجهن للحصول على استحسان الشباب، ويسعين لايجاد شباب زائف، والحقبة الرابعة من عمر الانسان هي الشيخوخة، وقد منحت للانسان حتى يملك الوقت مادام حياً ليتذكر ألطاف الرب نحوه، ولسداد الديون إلى خالقه، ففي سنوات نشاطه كان ميالاً نحو نسيان ربه، ونحو الاستغراق بالأشياء الدنيوية، التي تدفعه نحو إهمال روحه، ويمكن للانسان أن يملك في سن الشيخوخة الوقت للاستغفار من حماقاته الماضية ومن ذنوبه، وأن يعد نفسه لمواجهة الموت، فلقد أعطي الانسان هذا السكون الأخير، والحزن، والوحداية، عندما يمكنه أن يتطلع إلى ما وراء القبر، إلى الحياة القادمة، وختم فيليب كتابه هذا ببحث حول فضائل التسامح، والمساعدة، والشجاعة، والشرف، وهي سمات مطلوبة ومرغوب بها وبوجودها في الإنسان، وهذا الكتاب نوع من أنواع كتابات الشيوخ عندما يصبحون متدينين بعمق، وأخلاقين في أواخر أيامهم، وهو خلو تماماً من الاشارات، ومن طعم الفكاهة، وهو ما نجده متوفر هنا وهناك في تاريخ فيليب، وهذا الكتاب هو عمل رجل قانوني بات شيخاً مسناً، رجل كان في سنوات شبابه يدرّب المحامين الشباب ويعلمهم كيف يرافعون أمام سدة المحكمة العليا للملكة، أما الآن ففي سنوات الشيخوخة قد أراد أن يوجه الشباب ويعلمهم الوسائل التي يحضرون بها مذكراتهم للمرافعة أمام سدة محكمة مملكة الساء.

وفيا يتعلق بكتابات فيليب الأخرى، بقي عنها النص المترجم التالي، وقد ورد في كتاب «الأجيال الأربعة»، فهنا وصف فيليب بنفسه هذا الكتاب حسبما كتب بالأصل:

«لقد كتب فيليب دي نوفار، الذي كتب هذا الكتاب، كتابين آخرين،

وقد كتب في جزء من الكتاب الأول ما يتعلق بنفسه، فهناك تحدث عن البلد الذي جاء منه، وبين لماذا وكيف جاء عبر البحر، وكيف قاد نفسه بنعمة من الرب لمدة طويلة، وجاء إثر هذا عدة تراثيل وأغان هو نفسه قد نظمها حول الحماقات الكبيرة لهذا العالم التي ندعوها باسم الحب، وهناك أيضاً الأشعار التي نظمها حول الحروب الكبيرة التي وقعت في أيامه، فيما بين الامبراطور فردريك، وصاحب بيروت، مولاي جون دي إيبيلين الشيخ، كما قدم رواية رائعة جداً عن هذه الحرب نفسها من بدايتها حتى نهايتها، وأودع هناك كلمات وأفاعيل المؤتمرات الكبيرة والمعارك والحصارات، مرتبة منظمة، لأن فيليب كان موجوداً خلالهم جميعاً، ويوجد هناك بالإضافة إلى ذلك أغاني وتراثيل لسيدتنا وللقديسين، التي نظم الكثير منها في شيخوخته، وكتب هذا الكتاب بغية حفظ هذه الأشعار وأخبار أعمال الشجاعة لهؤلاء السادة الجيدين، ولكي تبقى أطول مدة في ذاكرة الذين انحدروا منهم ومن الأصدقاء الآخرين، وفي ذاكرة جميع الذين سوف يسمعونهم».

وتبعاً لما أورده هنا، كان التاريخ على هذا قسماً من كتاب كبير تضمن مايلي: (١) سيرة ذاتية؛ (٢) أشعاراً في الحب؛ (٣) أشعاراً حول الحرب، (٤) تاريخ الحرب، و (٥) أشعاراً دينية، ومن هذه الأشعار فقدت أشعار الحب و أشعار الدين كلياً، أما التاريخ و معظم أشعار الحرب فقد حفظت في أخبار أعمال الحرب، و لعل جزءاً صغيراً من السيرة الذاتية قد دمج في القسم الأول من « الأخبار » .

و يشكل غياب أي نص أصيل مشككة تاريخ تصنيف « التاريخ » و يجعل ذلك صعباً جداً، وكان بول رختر Richter ، و هو أول من حاول حل مشكلة تاريخ الكتاب، قد توصل إلى محصلة إلى أنه قد كتب على قسمين، فقد كتب القسم الأول قبل ١٢٤٧، و كتب الثاني بعد ١٢٥٨، و تقوم هذه النظرية على فكرة أن فيليب كتب أولاً رواية

مستقلة حول الأحداث المبكرة، ثم إنه بعدما اطلع على « هرقل » و على « حوليات الارض المقدسة »، أعاد النظر بما كتبه و نقحه وأكمله بتضمينه مواداً استقاها من هذه المصادر، و أشار غاستون الباريسي إلى أن فيليب لربما كتب التاريخ كله في وقت واحد ، ثم أعاد النظر فيه و نقحه فيما بعد، وضمنه الاشارات الواردة حول الأحداث المتأخرة ، الأمر الذي دفع رختر إلى القول بأن الأجزاء الأخيرة قد كتبت في زمن متأخر، وأظهر غاستون الباريسي أن النقول من « هرقل » و من « الحوليات » قد أضيفت من قبل مصنف « الأعمال » و ليس من قبل فيليب نفسه، و ذلك بسبب أن هذه النقول غير موجودة في أمادي ، و قادت أبحاث كوهلر صاحبها إلى المحصلات نفسها التي كان غاستون الباريسي قد وصل إليها ، و كان رأيها الأخير هو أن التاريخ قد كتب فيما بين ١٢٤٣ و ١٢٤٧، و نقح فيما بعد، و لعل ذلك كان بعد سنة ١٢٥٤، لا بل حتى بعد سنة ١٢٥٨ .

و بما أن التاريخ يحتوي على أخبار أحداث وقعت خلال عام ١٢٤٣، من البداهة بمكان أنه كتب بعد هذا التاريخ ، لكن بما أنه أسقط كل إشارة إلى كل من تولية بالين دي إيبيلين لوكلاء الامبراطور في ١٢٤٦ — ١٢٤٧، أو موته في سنة ١٢٤٧، لا بد أنه قد كتب قبل وقوع هذه الأحداث ، و قد كان بالين أقرب أصدقاء فيليب إليه ، ثم إنه كان مولاه المباشر، و على هذا مستبعد عدم إقدام فيليب على ذكر مثل هذه الأحداث الهامة في حياته، هذا من جهة و من جهة أخرى كان فيليب قد أتى عرضاً على ذكر عدد من الألقاب و الوظائف التي شغلها أعضاء في البيت الإيبيليني، لكن فقط الألقاب و الوظائف التي شغلوها بعد ١٢٤٧، وجاءت الاشارات إلى جون دي ايبيلين الأصغر، عندما غدا في حقبة متأخره، صاحب يافا و هو اللقب الذي ناله للمرة الأولى في سنة ١٢٤٧، و أشير إلى غي بمثابة قسطلان لقبرص، وإلى بلدوين بمثابة

مفوض للجيش في قبرص، و لقد شغل هذان هاتين الوظيفتين فقط بعد عام ١٢٤٧، ووردت إشارة إلى جون دي إيبيلين صاحب أرسوف على أنه قسطلان القدس، وهو قد أصبح كذلك في عام ١٢٥١ فقط، كما وتسلم عدة مرات منصب معاون قاضي المملكة، فقد تملك هذا المنصب في ١٢٤٧ - ١٢٤٨، و ١٢٤٩، و ١٢٥٤ و ١٢٥٦ - ١٢٥٨، وقد كتبت هذه الإشارات بقصد الرفع من شأن مختلف شخصيات الإيبيلينين، وهي ليست جزءاً من التاريخ أو متعلقة به، ويستخلص من هذا بينة على أن فيليب قد أعاد النظر في عمله في وقت ما بعد سنة ١٢٥٤ أو سنة ١٢٥٨، ونقح روايته، لكن ليس عن طريق إضافة مواد جديدة تتحدث عن أحداث جديدة بل مجرد تعريف بالشخصيات التي ورد ذكرها في تاريخه بألقابها الأخيرة فقط، وعلى هذا كتب النص الأصيل قبل سنة ١٢٤٧، أي بعيد عدة سنوات تلت آخر الأحداث التي ورد ذكرها في آخره .

٣ - تقويم لتاريخ فيليب دي نوفار

من غير الممكن عدّ كتاب « تاريخ الحرب بين الامبراطور فردريك الثاني وجون دي إيبيلين » قطعة عالية المكانة في الأدب التاريخي، فهو لا يحتوي على أي فلسفة معمقة للتاريخ، ولا حتى على أية أحكام مسبقة في محاولة لتقرير أسباب الأحداث، ووصف فيليب نفسه عمله بقوله إنه مجرد رواية حول الأسباب الحقيقية للحرب: « و كذلك حول الرجال و الأفاعيل العظيمة »، لكنه عرض الأسباب من خلال وجهة نظر منحازة، و تتعلق قيمة الكتاب و أهميته بسماته أنه رواية واحد من الغولف Guelph السوريين، و لأنه يحتوي على رواية صحيحة حول الأحداث التي وقعت، يضاف إلى هذا إن الكتاب يعبر عن موقف فيليب ضد الحزب الامبراطوري في الشرق، مع إطراء للبيت الايبيليني الذي أكد أنه « لا يوجد بيت أعظم منه في كل العالم المسيحي » و فوق هذا كله كتاب

سيرة ترجم فيها فيليب لوا حد من كبار الأبطال الاقطاعيين، و هو صاحب بيروت العجوز .

وكتب فيليب دي نوفار من منطلق فردي مدهش، و فقط المسائل التي لها علاقة مباشرة بموضوعه المختار من الحرب بين الامبراطور و الإيبلينيين وجدت مكاناً لها على صفحاته، فهناك قضايا و أحداثاً رئيسية مثل صليبية ثيبوت أوف شاميين ورتشاد أوف كورنول، التي وقعت في الإطار الزمني لتاريخه قد حذفت كلياً وأسقطت من رواية فيليب، و في السنوات التي لم يكن فيها من شيء يؤثر بوقائع الحرب، لم يتحدث فيها فيليب عن شيء أبداً، و هكذا نجد سنوات ١٢٣٤ - ١٢٣٥ و ١٢٣٧ - ١٢٤٠، لم تدون، و ذكرت سنة ١٢٣٦ فقط بسبب موت صاحب بيروت، زيادة على هذا لم يقل فيليب شيئاً عن أمور كانت قد حدثت أو لم تكن قد حدثت بعد، في الزمن الذي كتب فيه، من ذلك النقد البابوي للإيبلينيين، و جهود الكرسي المقدس في سبيل الحصول على سلم موافق للامبراطور، فهذا ما أسقط، و مثل هذا أسقط أيضاً خبر السلم الذي تحقق، مع تقبل القبارصة في إطار الخطوة البابوية، و لم يكن لهذه الأحداث من آثار على النتيجة النهائية، و لقد مرّ بهم فيليب مرور الكرام، ربما لشعوره أنه لم يكن فيهم فائدة للكنيسة، و من الأفضل نسيانهم، و لعل من أفضل الأمثلة عن عدم تقدير فيليب للمسائل ذات العلاقة، يمكن إيجاده في رواية فيليب عن حملات فردريك في سورية، و معاهدة يافا لعام ١٢٢٩، و كانت بعض الروايات عن أعمال الامبراطور في سورية من الضروري إيرادها لربط أحداث قبرص مع بعضها بعضاً، وهي الأحداث التي وقعت قبل الحملة الصليبية و كذلك ما حدث بعدها، و هكذا روى أخبار الحملة الصليبية في فقرة صغيرة واحدة، كما أن روايته عن معاهدة يافا فقيرة و غير كاملة، لكنه لم ينتقدها على أنها عمل غير مسيحي كما فعل البطريك

جيرولد Gerold، ثم إن الشروط التي أتى على ذكرها وتعدادها فكانت فقط ماله أعظم الفوائد بالنسبة لمملكة سورية .

ولم يكن هجوم فيليب، موجه ضد فردريك شخصياً ، فالفصل الوحيد في كتاب «الأعمال» الذي فيه حملات افتراء وقذف بحق الامبراطور— الفصل ١٠٢ — ليس من صنع فيليب، بل مقحم جرى إقحامه من قبل واحد من المصادر الغربية، فليس فردريك بل برلياس Barlias و فيلنغر Filanger هما الأشرار في تاريخ فيليب، و رسمت صورة فيلنغر على أنه لم يكن منطقياً، وكان طاغية خارقاً للقانون، لكن صوت فيليب ليس أكثر ارتفاعاً في نقد وكيل الامبراطور هذا من صوت صاحب كتاب «هرقل»، ويبدو أن فردريك نفسه قد لاحظ أخطاء وكيله، فتولى سجنه لدى عودته من سورية، وكان برلياس — رينارد Rinard الشعر — شريراً حقاً، فقد كان يدين بالكثير للإيبيليين، فقد استقبل من قبلهم ونال حظوتهم ، وقد تظاهر خداعاً بحبهم و صداقتهم، لكنه تولى خيانتهم في كل مناسبة بشكل شرير جداً، ولم تعبأ مؤامرات برلياس و خساسته مع رفاقه بشرف و شجاعة الإيبيليين .

وفي هذا المقام يتوجب علينا أن نلاحظ أن عداء فيليب نحو برلياس، قد قاده نحو تفسير ابتعد به عن طريق الحقيقة المطلقة، فالحزب الامبراطوري في قبرص قد تكوّن ليس من أدنياء منحطين كلهم، بل من سادة من خيرة أسر ما وراء البحر، فبرلياس نفسه قد جاء من أسرة قديمة لها قرابات جيدة، وكانت أسرزيسان وجبله، و بورسلت Porcelets، ودي ريفيت Rivet وشينارات Chenart جميعاً أسراً نبيلة لها سمعتها الطيبة، و ضم الحزب الامبراطوري في سورية أعظم القادة لذلك الحين أمثال : بالين صاحب صيدا، و يودس دي مونتبليارد Eudes Demontbeliard، و غارنيير الألماني، و أسراً أخرى، كثير منها أنفستها كانت من أقرباء أسرة إيبيلين، وقد أيدت هذه المجموعة نيابة فردريك

عن الملك كونراد، غير أنها ارتبطت بالإيبيليين عندما دفعتهم نحو هذا الأعمال اللاقانونية للوكيل الامبراطوري رتشارد فيلنغر، و بوهيموند صاحب أنطاكية، و أعظم أمير محلي في بلاد ما وراء البحار بعد ملك القدس نفسه ، كان مؤيداً امبراطورياً، ولم يتعاون قط مع الحزب القبرصي، و تولى فيليب عرض الجانب الإيبيليني من مجمل الصورة، و بالنسبة لوجهة النظر الامبراطورية كان الإيبيلينيون و أعوانهم فئة متمردة، كانت تسعى للاحتفاظ بسلطة غير شرعية على مملكة قبرص، محاولة التستر خلف شرعية مغلوبة و امتيازات فردية، وتمردهم ضد مولاهم الشرعي و سلطانهم واضح تمام الوضوح في بينات معللة وردت في ثنايا الاشارات إلى الشؤون الشرقية في تاريخ رتشارد أوف سان جرمانو ولدى مؤرخين آخرين .

و بصرف النظر عن سمات رسالة فيليب الغولفية Guelph وكذلك رواية التاريخية، إن كتابه أشبه بالملاحم، أو بالحري هو ملحمة حول بطل عظيم، هو جون دي إيبيلين العجوز، صاحب بيروت، فلقد أضفى فيليب عليه جميع الفضائل، فبات سيداً حقيقياً، مما يدفع الانسان الى التفكير بأن فيليب رأى وهو في سنه المتقدم، في مولاه السالف المثل الأعلى لجميع الفضائل، ومنه استقى الفضائل التي أثنى عليها في كتابه الـ « Quatre ages » ، ذلك أن السمات التي تجلّت في كل من أحداث حياة جون دي إيبيلين هي : الشجاعة، و الشرف ، و الأمانة، و التقوى، و كبح الإنفعالات، و العدالة، والعفو، واللطف، وإذا ما أزعنا جانبا حتى ظاهرة عبادة البطل عند فيليب، يقف صاحب بيروت بارزاً و كأنه صنع من جبلة بطولية ، وكان في كلماته دوماً - حسبما روى فيليب - توازن رفيع من المرونة، والقوة، وقد انتهى جوابه المنطقي لفردريك في ليهاسول بالعبارة الرنانة التالية : «وتأكد أنه بالنسبة للخوف من الموت أو السجن أنا لن أفعل شيئاً سوى ما سيطلبه قرار

المحكمة الجيد و المخلص مني أن أفعله»، و عندما أراد الإيبليني أن يعبر بشكل فعال و دقيق عن عدم ثقته بالإمبراطور و بوعوده، لم يلجأ إلى النقد المباشر لخصمه، بل عبر عن فكرته بقوة أعظم بضربه المثل بالوعل الذي ليس لديه قلب، وهناك تشابه عظيم بين كثير من نصوص رواية فيليب و سمات الأفراد الذين تولى وصفهم في كتابه عن حياة جون أوف إيبيلين و بين ما ورد في كتاب جوانفيل عن حياة القديس لويس، فقد مثل كل من الملك الفرنسي و اللورد القبرصي أسمى أشكال تطور الشخصية الإقطاعية، فكلاهما كانا سيدان لطيفان قد حظيا على كثير من حب و إخلاص شعبيهما، و كان كل منهما مستقيماً و متديناً و منطقياً، وقد حظيا بمن يترجم لكل واحد منهما في رجلي عمل أعجبا بهما و كتباً عن حياتيهما بغية أن تعرف الأجيال المقبلة سمات الرجلين اللذين افتخرا في دعوتيهما مولييهما.

و لم يكن كتاب فيليب أقل قراءة و متعة من كتاب جوانفيل، لابل يمكن القول إنه تفوق في إحدى النقاط على منافسه، لأن فيليب امتلك حساً مبطناً وجافاً بالفكاهة، تغلغل خلال روايته، و الشاهد الأكثر وضوحاً هو المشهد في محكمة نيقوسيا عندما جرى اعتقال فيليب من قبل وكلاء الإمبراطور، فقال: إنه لا يمكنه الاتفاق مع اقتراح صاحب جبلة في أن يقتل، «وأن والده السير برتراند قد تكلم مراراً بحكمة أكثر»، وهناك أيضاً لمسات أخرى كثيرة، هي أقل وضوحاً، لكن ليست أقل بروح الفكاهة، من ذلك الإشارة إلى «الخروف ذي الأذنين الطويلتين»، الذي أكله المحاصرون في ديودامور، ووصف سمات مختلف الشخصيات في قصائده عن الـ Branche العائد لـ «رينارد»

وبالنسبة لهذه القصائد لا توجد حاجة للحديث عنها هنا، ذلك أنها تستحق دراسة خاصة، وقد عدت هذه القصائد في بعض الأوقات قصائد رائعة، ونظر إليها في بعض أوقات أخرى على أنها سيئة

الوزن، وهي في كثير من الأحيان واضحة، وفي بعضها - كما الحال في القصيدة الأولى - غامضة بشكل يائس، وهذه القصائد هامة كوئائق تاريخية، لأنها تظهر ردات فعل فيليب المباشرة نحو الأحداث لدى وقوعها، و ينبغي أن يلاحظ أنه بالنسبة لقضية سجن بالين في ليماسول، أزعج مرور الوقت ذكريات فيليب بشأن مصاعب هذا السجن ووحشيته، ولم يزلها .

وعلى هذا يعدّ كتاب فيليب كتاباً منحاز التوجه، لكنه مع هذا مترفع فوق مستوى التوجه الإنحيازي بسبب دقته وصحته في عرضه للحقائق، ولتركيزه على السمات الحسنة لدى بطله ، فلقد رغب فيليب أن يبقى لمستقبل الأيام حياة صديقه القديم، ومولاه، مع ذكر الأعمال العظيمة لحزبه، وهو في الحقيقة حين سعى لتخليد ذكرى نجاحات الآخرين تمكن من تخليد نفسه .

٤ - صليبية فردريك الثاني و الحرب ضد الإيبليين

وفيما يتعلق بتاريخ فيليب دي نوفار إنه يقدم رواية عظيمة الإنحياز المسبق ضد أهداف وسياسات فردريك الثاني في الشرق ، وهي تروي أخبار الأحداث في الصراع ضده فقط من وجهة نظر الذين كانوا في حالة حرب ضده ، ولهذا إن تقديم عرض مختصر لصليبية فردريك وللصراع الذي نجم عنها، لائق تماماً بهذا المدخل، وسيكون هذا العرض أفضل صورة للأحداث يمكن الحصول عليها ، فلقد كتب فيليب بطريقة مقنعة إلى حد أنه إذا لم يكن القارئ حذراً، سيجد نفسه مشاركاً فيليب في أحكامه المسبقة، وداعماً للاتجاه المعادي للإمبراطور، و منحازاً إليه تمام الإنحياز، ولهذا ولكي نصحح فيليب، ومع الرغبة «لإعطاء الشيطان ما يستحقه» جاء إدخال العرض التاريخي الموجز هنا :

أ - بدايات الحملة الصليبية، ١٢١٥-١٢٢٨

في ٢٥- تموز ١٢١٥، وفي الكنيسة الكاتدرائية في آخن، حمل فردريك الثاني الصليب، وكرس نفسه لصالح قضية الحرب المقدسة ضد المسلمين، وجاء هذا إثر تسلمه لتاج المملكة الألمانية من يدي سيغفرايد Siegfried رئيس أساقفة مينز، وحرص أتباعه على أن يكونوا مثله فيكرسوا أنفسهم في سبيل إنقاذ الأماكن المقدسة، ولقد كان هذا استعراضاً احتفالياً رائعاً، فقد رفع الهوهنزتوفني ثانية راية الصليب التي حملها كونراد الثالث وفردريك بربروسا، وجدد أمجاد شارلمان، وأمجاد ذلك السيف الذي هو سلاح المسيحية، والذي رؤيت أسطوره الشعبية في الحملة الصليبية الأولى، وهو الذي تولى تطويبه بشكل مهيب من قبل فردريك الأول في هذه الكنيسة نفسها، وتوفر لدى البابا انوسنت الثالث السبب ليتهاج تجاه روح مولاه، ولأن يشعر أنه سيحقق بوساطة فردريك الثاني هذا (الذي سماه والداه أولاً باسم قسطنطين) الوصول إلى النتائج التي أخفقت كل من الحملة الصليبية الثالثة والحملة الصليبية الرابعة في تحقيقها.

وغادرت الحملة الصليبية الخامسة في ١٢١٧ متجهة إلى الشرق حسبما كان مخططاً لها، لكن الملك الشاب لكل من ألمانيا و صقلية لم يكن بين أفرادها، واستولى الصليبيون على دمياط، وتقدموا فوق مياه النيل، فواجهوا هزيمة ساحقة عند المنصورة، و تركوا خلفهم عدداً كبيراً من حشدهم ميتاً أو أسيراً في مصر، ثم عادوا إلى الوطن، و تسللوا إليه و هم مدمرين تماماً، و كان فردريك ما يزال يؤخر مغادرته، و تقبل البابا هونوريوس الثالث - الذي خلف انوسنت على العرش البابوي في سنة ١٢١٦- تسويغات فردريك، و منحه موافقات متكررة على التأخير من سنة ١٢١٧ حتى سنة ١٢٢٢، ورفع قادة الحملة الصليبية الخامسة، التي كانت سيئة المصير، أصواتهم عالياً في توجيه اللوم إلى فردريك لتوانيه في تقديم الدعم لهم، و أمر البابا بعقد مجمع عام ينعقد في فيرنتينو Fe-

rentino في آذار سنة ١٢٢٣، حيث تقرر مناقشة خطط صليبية جديدة فيه، و كان بين الذين حضروا هذا المجمع الكاردينال بيلاغوس، الذي كان النائب البابوي الذي تولى قيادة الحملة الخامسة، و الذي يعود إليه بالفعل سبب الإخفاق المأساوي لتلك الحملة، و حضر كذلك الملك جون بريين صاحب القدس، و رالف بطريك القدس، و هيرمان فون سالزا Salza ، المقدم الأعلى لفرسان التيوتون، مع مقدمي كل من فرسان الداوية و فرسان مشفى القديس يوحنا، وقد اجتمع هؤلاء مع البابا هونوريوس و الملك فردريك، و تم التوافق في هذا المجمع أنه يتوجب عدم القيام بأية محاولة عمليات عسكرية لمدة سنتين، كما تم ضمان مصالح فردريك الشخصية في مصير المملكة السورية، على أساس الاتفاق، و من ثم إقدامه على الزواج من ايزابل دي بريين ابنة الملك جون و الوارثة لعرش القدس من خلال أمها ، و أعد فردريك خططاً معلنة من أجل مغادرته في العامين المقبلين، لكنه في عام ١٢٢٥، عندما كان عليه المغادرة وجد نفسه مرة ثانية غير قادر على المغادرة، و طلب من البابا منحه فسحة للتأخير مرة أخرى حتى سنة ١٢٢٧، و منحه البابا المتورط ذلك، و بدلاً من أن يقود فردريك جيشه الى الشرق، قام في آب ١٢٢٥ بإرسال أسطول مكون من أربعة عشر غليوناً الى عكا، و حمل هذا الأسطول جيمس أسقف باقي، الذي كان يعمل بمثابة وكيل له لكي يتولى خطبة الأميرة ايزابيل، و جرى الزواج في كنيسة الصليب المقدس في عكا، و بعد مراسم الزواج حملت الملكة الشابة إلى صور، حيث جرى تتويجها في الكاتدرائية بشكل مهيب ملكة على القدس، و ذلك بحضور رالف، بطريك القدس، و سميعان رئيس أساقفة صور، و يودس دي مونتبليارد الذي كان قسطلان المملكة و نائبيها، و بالين صاحب صيدا، و وولتر صاحب قيسارية، و جون دي ايلين صاحب بيروت، و عدد كبير آخر، و استمرت الاحتفالات و الأعياد بعد التتويج هناك لمدة خمسة عشر يوماً في مدينة صور، ثم توجه معها من هناك نحو الغرب

بمثابة حرس شرف: جيمس دي فيتري، أسقف عكا، وبالين صاحب صيدا، ويودس دي مونتبليارد، وسمعان رئيس أساقفة صور، ودانيال دي تيراموند، وعدد كبير آخر من لوردات سورية، وقد نزلوا في برنديزي في شهر تشرين الأول وفي ٩- تشرين الثاني تزوجت الملكة ايزابيل من فردريك شخصياً.

وما أن جرى انجاز الزواج حتى بادر فردريك إلى طلب تاج القدس من ختنه الملك جون مؤكداً على أن ايزابيل ملكة بموجب حقها الشرعي، وأن زواجها قد أنهى بشكل آلي نيابة جون عنها، واحتج جون ولكن بما أنه كان حصل شخصياً على عرش القدس بزواجه من الملكة، لذلك لم يكن بإمكانه إبداء مقاومة شديدة، ومع هذا أصر على أنه كان من بين شروط اتفاق الزواج أن يحتفظ بتاجه طيلة حياته، لكن فردريك رفض هذا، وتجاهل إلتماس جون الذي رفعه إلى البابا، وجعل نفسه يتوج ملكاً للقدس، وقام البارونات السوريون الذين رافقوا ايزابيل إلى ايطاليا بالإعتراف فوراً بفردريك ملكاً عليهم، وقدموا الولاء له، وقام الامبراطور على الفور بإرسال أسقف ملفي Melfi إلى الشرق ليضمن الحصول على ولاء البارونات في سورية، وذهب معه الكونت بيرناردو جنتايل أوف ناردو Berardo Gentile of nardo ، والكونت ستيفن أوف كوترون Cotron ، وقوة مؤلفة من ثلاثمائة فارس، لتكون شحنة في البلاد باسم الامبراطور، ويودس دي مونتبليارد، القسطلان الذي شغل وظيفة النائب أثناء غياب الملك جون وكان سوف يتابع العمل في الوكالة حتى قدوم الملك شخصياً الى سورية .

ومع أن البابا رفض الاعتراف بفردريك ملكاً على القدس، واستمر في إضفاء ذلك اللقب على جون دي بريين، نجد أن بارونات القدس قد بادروا بالفعل بقبول فردريك ملكاً بحكم كونه زوجاً للملكة مريم، ثم

بعد موتها، نائباً لابنتيهما ايزابل، لكن بزواجها وبتتويجها في صور صارت ايزابل ملكة بنفسها للقدس، وتبعاً لهذا لقد حملت اللقب الملكي الى زوجها، وإذا ما التزم فردريك بقانون المملكة الذي قضى بوجود ظهور الحاكم في حدود سنة ويوم بعد وراثته المملكة ليطالب بميراثه، لن يكون هناك اعتراض قانوني عليه كملك للقدس.

وتمت اعدادات كبيرة للحملة الصليبية التي تقرر اقلعها في آب ١٢٢٧، ووصلت الجيوش من ألمانيا إلى برنديزي تحت قيادة اللنغريف لويس أوف ثورنجيا Thuringia، والسدوق هنري أوف ليمبيرغ Lemburg، وجاء أربعون ألفاً من الانكليز تحت قيادة أسقف إكسستر Exeter وأسقف ونشستر، وهو بيتري روشي Roches المشهور، وتجمعت الحشود الصليبية من لومبارديا ومن أبوليا، ومن صقلية ومن أقاصي ألمانيا في ذلك الميناء الحار وغير الصحي، في حر الصيف، وجرى إرسال الكونت توماس أوف أسيرا Acerra أمام القوات ليعمل في سورية نائباً للامبراطور حتى وصوله شخصياً.

ومع أن فردريك قد أعلن فيما بعد، أنه تولى الإيفاء بجميع الواجبات والتعهدات التي قطعها على نفسه فيما يتعلق بالحملة الصليبية، وجد الحشد الذي وصل الى برنديزي أن الأوضاع غير مهيأة، وأن العدد الكافي من السفن لحمل هذا الحشد الهائل لم يجهز، وأن الامدادات سيئة الاعداد، وأن الأحوال الصحية في المعسكر كانت تعيسة، وكانت موارد المؤن والإقامة غير كافية، وفي حر صيف أبوليا سقط المحاربون الشماليون ضحايا للطاعون ومالبت فتك المرض وقيام عدد من الوحدات بالتخلي عن الجيش أن نقص العدد كثيراً.

وتم أخيراً في الثامن من أيلول لعام ١٢٢٧، اقلع الامبراطور، وبذلك بدأت الحملة الصليبية بالفعل، لكن الطاعون الذي كان قد دمر عدداً كبيراً من الجيش لم يوفر أحداً حتى أن صاحب الجلالة الامبراطورية قد

أرغمته أوضاعه الصحية السيئة على العودة الى ميناء أوترانتو Otranto، وذلك بناء على نصيحة فون سالزا وجيرولد، البطريك الجديد للقدس، وفي أوترانتو مات لويس أوف ثورنجيا، وبعث فردريك على معظم سفن الأسطول بثمانمائة من الفرسان وبعشرة آلاف من الرجالة، وذلك تحت قيادة دوق ليمبورغ، وأجل البطريك جيرولد موعد مغادرته حتى تتحسن صحته.

لكن البابا هونوريوس الثالث المهادن لم يعد مستحوذاً على عرش بطرس، فقد توفي في ١٨ - آذار ١٢٢٧، وخلفه الكاردينال أوغولينو Ugolino أوف أوستيا، وكان رجلاً عجوزاً، لكنه تمتع بنشاط مدهش، وقد تبنى اسم غريغوري التاسع، ولتصوره نفسه على أنه غريغوري سابع آخر، دعا إلى عقد مؤتمر آخر حول مسألة الإمبراطور المرتد، ثم ما أن سمع البابا العجوز بعودة فردريك حتى أصدر بحقه حرماناً كنسياً، وسوخ عمله هذا بشروط اليمين الذي أقسمه فردريك في سان جرمانو.

وتوفر بالفعل بعض التسوية في عمل غريغوري، في ضوء سجل أعمال التأجيل المتكررة لفردريك، لكن الذي لم يعرفه البابا هذه المرة هو أن فردريك كان مخلصاً بالفعل في خطته للمغادرة إلى سورية، وأن الظروف التي تجددت جعلت الإبحار في عام ١٢٢٧ مرغوباً فيه من وجهة نظر الإمبراطور بشكل خاص.

وكان الوضع السياسي منذ عام ١٢٢٥ متأزماً وحساساً، فقد انشغل الأميران الأيوبيان: الملك الكامل محمد صاحب مصر، والملك المعظم عيسى صاحب دمشق، في حرب أخويه من أجل السيطرة على فلسطين، وحاول منذ ١٢٢٥، المعظم الإطاحة بخصمه، وقام الكامل بالشروع بأعمال انتقامية من المعظم، فتحالف المعظم مع سلطان خوارزم، و بناء عليه انطلق الكامل يبحث عن حليف يوازن الحلف الذي تشكل ضده،

فكان أن بعث في سنة ١٢٢٦ سفارة إلى فردريك يسأله الإتحاد معه ضد دمشق، وعرض مقابل ذلك وثمناً لمساعدته : القدس وعدة مدن فلسطينية كانت بيد المعظم، وصار إذا ما توجهت صليبية فردريك ضد دمشق، فإن التحالف عرض على فردريك منافع كثيرة، وبناء عليه دخل فردريك في مباحثات مع الملك المصري، وجرى تبادل الرسائل وتطور العمل تطوراً كبيراً عندما شرع فردريك في عام ١٢٢٧ بالإقلاع، لكنه أرغم على العودة، وعلى هذا يمكن القول إن التأخير كان مزعجاً بالنسبة للامبراطور مثلما كان بالنسبة للبابا، ذلك أن فردريك كان بالفعل راغباً بالذهاب إلى فلسطين لاسترداد أراضي مملكته هناك، ولم يعبأ فردريك بانتقادات ولوم البابا الساخط ، الذي أعلن أنه لن يتمكن من الذهاب في حملته الصليبية حتى يرفع عنه الحرمان الكنسي، فلقد تابع فردريك بكل هدوء تنفيذ خططه من أجل المغادرة إلى الشرق، وعرض أن يقوم بتنفيذ أية عقوبة يمكن للبابا أن ينزلها به، لأنه أخفق بالمغادرة بالتاريخ الموعد، وبين أنه قد تولى تنفيذ جميع الشروط التي قطعها على نفسه بالنسبة للحملة الصليبية، وأن مرضه لم يكن بيده، وأن المصاعب في برنديزي لم يكن هو سببها، وكانت فوق طاقته، وتجاهل غريغوري شكواه وحاول جاهداً وضع كل عائق في طريقه، واخترع تهماً مزيفة ومثيرة للسخرية ضد فردريك، من ذلك أنه قد دس السم للندغريف لويس، وابتعد تماماً عن موضوع الحملة الصليبية لدى انتقاده لسياسات الامبراطور نحو الدول البابوية ونحو أسقفية صقلية، ودافع فردريك عن نفسه، وأبقى المناقشة حول المسألة القائمة، أي قضية الحملة الصليبية، وتابع القيام باستعداداته من أجل مغادرته للقيام بها، وبينما كان فردريك يحتفل بعيد الفصح في باري، جاءت رسالة من توماس أسيرا، الذي كان نائبه في سورية، أخبره فيها بأن السلطان المعظم صاحب دمشق، قد توفي، وأرسل الامبراطور بناء على ذلك، على الفور قوة مؤلفة من خمسمائة فارس نحو الشرق ، تحت قيادة رتشارد فيلنغر Filanger ، الذي كان

وأعيقت الامبراطورة ايزابل وسط هذه الاستعدادات بطفل، وولدت في ٢٥ - نيسان ١٢٢٨ في أندريا بصبي ذكر منح اسم كونراد، وكانت معاناة الولادة قاسية جداً بالنسبة للامبراطورة ابنة السابعة عشرة، ولقد توفيت بعد عشرة أيام من ولادتها، تاركة كونراد وريثاً لعرشها في القدس، وهكذا انتزع اللقب من فردريك، قبل أن يشرع بسفره نحو مملكته في القدس، وعندما أقلع أخيراً في ٢٨ حزيران، كان ادعاه القانوني الوحيد بعرش المملكة الشرقية متمثلاً بوضعه كوكيل لابنه الرضيع، وزيادة على هذا لقد أبحر على الرغم من الحظر البابوي، الذي منع تحت التهديد بالحرمان الكنسي وعدم المصالحة مع الكنيسة، إذا ما قام بالحملة الصليبية.

ب - الحملة الصليبية: حزيران ١٢٢٨ - أيار ١٢٢٩ .

عندما أبحر الامبراطور، وهو في لجة الحظر البابوي، من برنديزي في ١٢٢٨، وشرع بحملته الصليبية التي تأخرت كثيراً، كانت قوته صغيرة، تألفت من أربعين مركباً فقط، فقد كان الجزء الأعظم من جيشه قد تقدم أمامه، لكن وإن أخذنا ذلك بعين التقدير كانت الحملة الصليبية الامبراطورية أقل عظمة مما خطط له بالأصل، وبعد ابحار دام أربعة وعشرين يوماً، اجتاز فيها الأسطول الامبراطوري سواحل كورفو، وسيفالونيا، والمورة، وكريت، وصل يوم ٢١ تموز إلى ميناء ليماسول في قبرص، حيث التقى بتوماس أوف أسيرا وفيلنغر، وبالين صاحب صيدا، وبعض من أعيان نبلاء المملكة، وكان يحكم مملكة قبرص آنذاك الملك هنري الأول، وكان صغيراً، وقد ناب عنه جون دي إيبيلين صاحب بيروت، حيث كان يعمل وكيلاً يتولى إدارة المملكة، وكان فردريك يعدّ قبرص بمثابة إقطاعية إمبراطورية، بحكم أن الملك عموري كان قد تلقى لقبه الملكي من هنري السادس في سنة ١١٩٧، وكان قد اعترف بالتابعة للامبراطورية، ولهذا قرر فردريك الضغط من أجل حقه